تمْييزُ الدقيق من الرقيق

للأستاذ صبحي البصام – لندن

يقع التحريف أحياناً على لفظي «الدقيق» و «الرقيق» بأيدي الناسخين والطابعين. وذلك للتشابه بين رسم الدال والراء فيهما، وللتقارب بين معنييهما في بعض المواطن. وقد يفوت ذلك على محققي الكتب والقراء.

١ – معنى الدقيق:

والدقيق هو ما كان فيه طول مع استدارة أو بعض الاستدارة، وبلا غلظ. ومما يوصف بالدقة القصبة والقلم والشعرة والخيط والحبل والوتر والذراع والساق والعنق والخصر والرمح والغصن ونواة التمر وبعض العظام كعظم الساق، وقد يكون الدقيق بمعنى الضئيل دون أن يتّضحُ منه طول أو استدارة، كنقطة الحبر وحبة الخردل والبرغوث. ويُقال هو دقيق العظم كناية على الكِبَر. وتوصف أشياء بالدقة على المجاز، وفيها معنى المدح، نحو دقيق المعنى، ودقيق الذهن، أو فيها معنى الذم كدقيق الخلق، ودقيق النفس. ولي شواهد لما تقدّم جميعاً. ونقيض الدقيق الغليظ. ويُقال للشيءُ دقيق بالإضافة إلى غيره. فساق الانسان دقيقة اذا قيست بساق الفيل، ولكنها غليظة في جنب ساق الظبي.

٢ – معنى الرقيق:

والرقيق ما كان له جانبان متقابلان، ودون ثخن، ومما يوصف بالرقة الورقة والصحيفة والنسيج والجلد والقشر والرغيف والباب والنعل والسيف والسبيبة التي تشُد بها المرأة

شعرها ونحوها، وبعض العظام كعظم الكتف، والأصل في السوائل أن توصف بالرقة كالحساء، وسيأتي فضل قول فيها (الفقرة ٣). والرقيق: الضعيف، ويُقال هو رقيق العظم كناية عن علوّ السن، لاقترانه بالضعف، وتوصف أشياء بالرقة مجازاً وفيها معنى المدح، نحو رقيق اللسان ورقيق اللفظ، أو فيها معنى الذم، نحو رقيق الدين، ورقيق العقل، وعندي شواهد لما ذكرت جميعاً. وخلاف الرقيق الثخين. ويوصف الشيء بالرقة بالنسبة الى غيره. فلوح القبر وهو رخام أو نحوه إن كان ثخنه إصبعاً فهو رقيق، لأن الأصل فيه أن يكون ثخيناً، ولكنّ نسيج الثوب إن كان ثخنة ثلث إصبع فهو ثخين، لأن الأصل فيه أن يكون رقيقاً.

٣ - التداخل بين الدقيق والرقيق:

وقد يحصل تداخل بين الدقيق والرقيق، وذلك حين يوصف شيء بالدقة ويجوز وصفه مع ذلك بالرقة. ومن النصوص التي جمعت الصفتين ما جاء في تهذيب اللغة (٢/٢١٢): «النَمَص: دقة الشعر ورقته حتى تراه كالزغف». والمراد بهذه الرقة الضعف. وما جاء في «الحاوي في الطب» (٣/٢١٦) من صفة اللسان بالرقة والدقة. والمراد بهذه الرقة نقيض الثخن، ومن شأنها تسهيل الكلام، ولرقة اللسان معنى مجازي هو لين الكلام وخلوصه من الجفوة. والنظر في سياق الكلام معين على التثبت من معنى صفة اللسان. وقد أحسن التمييز بين دقة اللسان ورقته الأستاذ عبد السلام محمد هارون في تحقيقه البيان والتبيين إذ أخذ بـ «أرقّ» بالراء في قول الجاحظ (١/٣٣٤): «وكان اسماعيل بن جعفر من أرقّ الناس لساناً وأحسنهم بياناً» المذكورة في نسختي «ل» و «هـ» دون أدق بالدال التي في سائر النسخ. على أنه يُقال «دق عظمي» و «رقّ عظمي» كناية عن الكبر. وقد نرى نصاً في كتاب يوصف فيه العظم بالدقة، وترى النص نفسه في كتاب آخر يوصف فيه العظم بالرقة. وذلك إما أن يكون أحد اللفظين محرّفاً عن الآخر، وإمّا أن يكونا من روايتين مختلفتين. ويجوز في الأعم الأغلب الأخذ بأي واحد منهما لأن معناهما واحد. ومن شاء التثبت من ذلك فليبحث عن مراجع معتمدة. فمن ذلك قول الربيع بن ضبع الفزاري (أمالي السيد المرتضى ١/١٨٤):

بأني قد كبرت ودق عظمي فلا تشغلكم عني النساء

فوردت فيه «دق» بالدال. والبيت في الأخبار الموفقيات (ص ٣٢٠) وفيه «رق» بالراء. وسيجيء فضل قول في ذلك (الفقرة ٤). وكثيراً ما يستعمل في السوائل الغليظ نقيضاً للرقيق بدلاً من الثخين. وذلك معروف في كتب الطب في وصفهم الخلط والبول والدم والنفث والمدّة، ففي الحاوي في الطب (٨/١٩٨): «ومن سرعة النفث وبطئه ورقته وغلظه». وفيه (١٠/٣٥): «من جودة المدّة بياضها وتوسطها في الغلظ والرقة». وذلك مطرّد في هذا الكتاب بأجزائه الإثني عشر، الاّ موضعاً واحداً وهو قول المؤلف، وهو الرازي، (١٢/١١٨): «مجس المدّة الرقيقة يخالف مجسة المدّة الثخينة». فعدل الى الثخين الذي هو أصل ليكون نقيضاً للرقيق، فمن رأي نحو ذلك فلا يظنّنّ أنه سهو من الناسخ أو الطابع وأن الصواب في الغليظ الثخينُ لتصحّ المقابلة بالرقيق، ولا أن الصواب في الرقيق الدقيقُ لتصحّ المقابلة بالغليظ. فهذا كلام قديم، ورثناه عن المؤلفين، وإن لم يكن من النمط العالي.

٤ – إغفال «دقة العظم» في تهذيب اللغة ولسان العرب:

أغفل الأزهري في التهذيب في مادة (دق) (٨/٢٧٠) «رقة العظم». على أنه قال من بعدُ في مادة «رق» (ص٢٨٦): «ويُقال: رقّت عظام فلان اذا كبر». ثم فعل نحو ذلك إبن منظور في اللسان (مادة: رقّ). وهو في أكثر معجمه ينقل من تهذيب اللغة رأساً أو من معجم نقل منه. فبعد أن نقل منه: «ويقال: رقّت عظام فلان اذا كبر» أضاف اليه «وأرقّ فلان اذا رقت حاله وقلّ ماله. وفي حديث عثمان رضي الله عنه: كبرت سني ورق عظمي؛ أي ضعفت». مع أن دقة العظم كناية عن الكبر أصل، ورقته بالمعنى نفسه فرع. فالإنسان اذا تقدّمت به السنّ أصابت عظمه تحولة لنقصان الدسم منه، فيدق، فيفضي ذلك الى الضعف. وأنا مختار قليلاً من النصوص مما يخص الدقة ليكون دليلاً على إغفال هذين المعجمين الواسعين ما كان جديراً بالذكر. قال قبيصة بن المخارق: «يا رسول الله، رقّ جلدي ودقّ عظمي» (الكامل للمبرد ١/٣٨٥). وفي رسالة للمغيرة بن شعبة: «أما بعدُ، فإني قد كبرت سني، ودقّ عظمي» (تاريخ الطبري ٥/٣٣١). وقال الفرزدق (الديوان ٢/٢١٢ – صادر):

ولم أنتبه حتى أحاطت خطيئتي ورائي ودقّت للدهور عظامي

وقال علي بن ربيع (المستطرف ٢ / ٣١):

كبرت ودقّ العظم مني وعقني بنيّ وزالت عن فراشي العقائد

وانظر «الأوائل» (ق ١ / ٣٤٣)، ومعجم الأدباء (٧ / ٤٩)، ومعاهد التنصيص (٢ / ٢٢٥). وذلك من هذين المعجمين قد يوهم محقق كتاب ما. فلو رأى في مخطوط «دقة» العظم بالدال، ولم يجدها في هذين المعجمين، لجاز أن يظنّ أن «دقة» محرّفة عن «رقة»، وهو خطأ وإن كان قليل الخطر.

٥ – تحريف في لسان العرب:

في «لسان العرب» من طبعة بولاق سنة ١٣٢٧ هـ قول لابن برّي في مادّة «دقق» هذا نصه: «الفرق بين الدقيق والرقيق أنّ الدقيق خلاف الغليظ، والرقيق خلاف الثخين. ولهذا يقال حساء رقيق وحساء ثخين، ولا يقال فيه حساء دقيق. ويُقال سيف دقيق المضرب، ورمح دقيق، كما تقول رمح غليظ وغصن غليظ، وكذلك حبل دقيق وحبل غليظ». قلت: عبارة إبن بري «سيف دقيق المضرب» بالدال في النص فيها نظر. وإنما يوصف مضرب السيف بالرقة، لأن السيف يُقطع من صفيحة معدنية ثم يُرقق مضربه ليحيك في الضريبة، والعبارة مثبتة كذلك في طبعات لسان العرب الأُخَر، وكلها أعقبت طبعة بولاق – وأنا أجلّ ابنّ برّي عن أن يعثر مثل هذه العثرة. وظني أنها تحريف من الناسخ أو الطابع، وفي سياق القول بعض الدلالة على التحريف. ويشهد برقة مضرب السيف قول النابغة الذبياني (موسوعة الشعر العربي ٢ / ٢٦١).

فهم يتساقون المنيّة بينهم بأيديهم بيض رقاق المضاربِ

وقول أبي الهيذام المرّي (أمالي القالي ١ / ٢٦٧):

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإنّ بها ما يُدرك الماجد الوترا

وقول ودّاك المازني (العقد الفريد ٥ / ٢٠١):

مقاديم وصّالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يماني

وقول عمرو بن برّاقة (أمالي السيد المرتضى ٤ / ١٧٦) :

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجمُ

وقول حسان بن ثابت (الديوان ص ٣٦٠) :

أو ليس اللسان مني أمضىٰ من ظبات المهندات الرقاق

وقول عامر بن الطفيل (الديوان ص ٤٣) :

وأبيضَ يخطف القَصَرات عضبٍ رقيق الحدّ زينه غمودُ

وانظر قولاً لجرير في ديوانه (٢ / ١٢٢ بيروت) ، وآخر للراعي النميري في ديوانه (ص ١٤٠ – تح . فايبرت) . ومما يستأنس به من أقوال المولدين قول كشاجم : «من طَيات المهنذات الرقاقِ» (الديوان ص ٣٦٠) . وقول المتنبي : «فهو كالماء في الشفار الرقاقِ» (الديوان ٢ / ٦٤١) . وقول ابن فارس : «وسيوف رقاق النواحي» (متخيّر الألفاظ ص ٢٢٢) . وقول الراغب الأصفهاني : «ومنه النواحل للسيوف أي الرقاق الظبات» (معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٦) ، فإن قيل : لعلّ ابن برّي أراد النظر الى السيف من جهة حدّه على نحو يجعله يبدو كخيط دقيق . قلتُ : نظر كهذا يندر وقوعه ، ولا موضع له في نص كلامه .

٦ – تحريف في أدب الكتاب :

وفي «أدب الكتّاب» للصولي المطبوع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ هـ بتحقيق الشيخ العلامة محمد بهجة الأثري ومراجعة شيخه العلّامة محمود شكري الألوسي ، قال بعض الكتاب في صفة الخطّ الجيّد : «اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ... وتناسب رقيقة وجليلة» . قلت : «رقيقة» بالرّاء محرّفة عن «دقيقة» بالدال . والخط يوصف بالدقة لا الرقة . يشهد لذلك ما جاء في الكتاب نفسه لبعضهم (ص ٦٠) :

يقول وقد كتبتُ دقيق خط اليه لِمْ تجنبت الجليـــلا؟

وفي «الحاوي في الطب» (٢ / ٢٣٩) أنّ مما يضرّ بالعين «... الانكباب على

قراءة الخط الدقيق». وإن جاز أن يفوت ذلك على العلامة الأثري، وقد حقق الكتاب في أيام الحداثة، فلا يفوت على شيخه العلامة الألوسي. وذلك يُوقع في ظني أن الغلط مطبعي، وإن كان غير مذكور في موضع تصحيح الغلط في آخر الكتاب.

٧ - تحريف في ديوان النابغة الشيباني:

وفي ديوان النابغة الشيباني المطبوع بدار الكتب المصرية قال النابغة (ص ٣٧) في صفة الأسد:

رقيق الخصر رحب الجوف شيْن كأنّ أخا تواليه عمـــــودُ

ورقيق في البيت تحريف دقيق، لأنّ الخصر مما يوصف بالدقة، وهو جزء من جسم فيه طول واستدارة. قال مرقّش الأكبر (ديوان المفضليات ص ٤٧٤):

دقاق الخصور لم تعفّر قرونها لشجو ولم يحضرن حُمّىٰ المَزَالفِ

وقال ابن مقبل (كتاب الصناعتين ص ١٢١):

وقد قُدّ منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عمّ الخلاخيل والقُلبا

وقال عمر بن أبي ربيعة (ثمار القلوب ص ٤٠٢):

بخصور تحكي خصور الزنابـ... ر دقاق عممن للانتصاف

وربما كان «عممن للانتصاف» - وليس بين يدي ديوانه - تحريف «هممن بالانقصاف». وقال ابن فارس في مجمل اللغة (مادة: خصر): «المخصَّر: الدقيق الخصر».

٨ - تحريف في كتاب الحيوان:

أ - وجاء في أصول كتاب الحيوان (١/٣٥٣) قول الجاحظ: «فكفاك بالخمول دقة ولؤماً وقلة ونذالة»، ولكن الأستاذ عبد السلام محمد هارون حذف «دقة» بالدال وأثبت مكانها «رقة» بالراء. وقال: «في الأصل: دقة» هكذا. وهو سهو منه، فهذا موضع

الدقة بالدال، واستعمال اللؤم والدقة معاً كثير في العربية. كقول النجاشي (البيان والتبيين ٤/٣٧):

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهطَ بن مقبلِ

وقول حصين بن الحمام (ديوان المفضليات ص ١١٨):

جزى اللهُ عنا عبد عمرو ملامةً وعُدوان سهم ما أدقّ وألأما

وقول حسان بن ثابت (الديوان ص ٣٢٦):

بنو عمّ دار الذل لؤماً ودقة وأحلام تيسٍ يمّم الدار أسقعِ

وقول الفرزدق (الديوان ١/٤٢٠):

أتعدل أحساباً لئاماً أدقة بأحسابنا؟ إني الى الله راجعُ

وقول بعضهم (الاقتضابِ ق ١/٥٢):

خالي أبو أنس وخال سراتهم أوسٌ فأيهما أدقّ وألأم؟

وشاء أبو نواس أن يقرن الدقة بالبخل بدلاً من اللؤم فقال (البيان والتبيين ٣/٣٥٥):

أرى جعفراً يزداد بخلاً ودقة اذا زاده الرحمن في الرزقِ

ب – وأيضا في كتاب الحيوان (٢/٤٧) في نعت كلب الصيد: «ويكون رزين المحزم رقيق الوسط». ولا أجد معنى واضحاً لرقيق الوسط، وأجده محرّفاً عن «دقيق» الوسط. فوسط الكلب جزء مما فيه طول واستدارة، واتساع الصدر ينخرط الى وسط دقيق، أي بطن خميص، ويلي البطن الخصر. ونحو هذا الانخراط معروف في كلاب الصيد. وتقدّم في دقة الخصر ما يزيد الأمر وضوحاً (الفقرة ٧).

وتنبيهاي هذان يخصّان الطبعة الأولى من كتاب الحيوان. ولم أعثر على الطبعة الثانية في خزانة الكتب SOAS التابعة لجامعة لندن، ولا في خزانة الكتب البريطانية، فإن كان المحقق تلافىٰ ذلك فيها، كان تنبيهي نافعاً لمن كان لديه الطبعة الأولى دون غيرها.

٩ – تحريف في البيان والتبيين:

أ – وفي البيان والتبيين (١/ ٨٩) قول للجاحظ في مدح سهل بن هارون: لا يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة، وبرقة الذهن قبل المخاطبة، وبدقة المذهب قبل الامتحان». قلت: «رقة» في رقة الذهن محرّفة عن «دقة»، جاء في تاريخ الطبري (٩/ ٢٨٩) في جعفر البرمكي «وكان من أدق الخلق ذهناً، وأصحهم فكراً». وفي الإمتاع والمؤانسة (٣/ ١٤١): «وإن بلغ الغاية في دقة الذهن، وحسن البيان، وبلاغة اللفظ». ثم انّ الفكر وهو أيضاً من باب الذهن يوصف بالدقة للمدح، كقول الجواليقي في شرح أدب الكاتب (ص٢٨): «يريد الدقيق الفكر من الناس الذي يغوص على المعاني». أما رقة الذهن، بالراء، فان وُجد لها نص دلّت على الذم، لذلك استعملت رقة العقل للذم، والعقل من باب الذهن والفكر المذكورين. كقول الليث، كما في التهذيب (٧/ ١٨٥): «السخف: رقة العقل». فإن قلتَ: كيف ترد «بدقة» في نصّ الجاحظ المذكور في عبارتين متصلتين. في قوله «برقة الذهن» و «بدقة المذهب»؟. قلت: ربما فعل ذلك الجاحظ حين لا يقصد الى تنميق كلامه. الا ترى الى قوله في كتاب الحيوان وقد أعاد استعمال «عند» (٣/ ١٧٢): «أثير عند مولاه، عظيم المنزلة عنده». ولو شاء تنميق كلامه لجاز أن يقول: عظيم المنزلة لديه. ونظير ذلك إعادته «به» في قوله في الكتاب نفسه (٣/ ٢٥٥): «وهو مسلم لذلك، وقانع به، وقليل الاكتراث به». ولو كان أعاد النظر فيه لجاز أن يقول: الاكتراث له. وأيضاً إعادته «العجيبة» في الكتاب عينة، في قوله في الديك (٣/ ٢٤١): «فجمع المعرفة العجيبة، والرعاية العجيبة»، ولم يقل: والرعاية الغريبة.

ب – وللمحقق سهو في البيان والتبيين. فقول سلمة بن عياش (١/ ٣٩):

كأنّ بني رألان اذ جاء جمعهم فراريج يلقىٰ بينهنّ سويق

جاء في تفسيره: «فقال ذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم». وقال محقق الكتاب إنه أخذ بـ «دقة» المذكورة في نسختي «ل» و «هـ» دون «رقة» التي في سائر النسخ لأنها تحريف. قلت: «رقة» صحيحة ولا تحريف فيها. على أن «دقة» التي أخذ بها

أيضاً صحيحة. وظنّي أن «رقة» التي أهملها وقال بتحريفها أصح منها. وذلك لدلالتها على الضعف الذي هو من صفة تلك الفراريج التي تُطعم السويق، لقرب عهدها بالتفقيس. فنحن نقول لصوتِ العصفور «دقيق» حين نقيسه بصوت غليظ كصوت الغراب، ولكنّ العصفور اذا أُذِي بشيء، فوهنت قوته، وضعف صوته، كان وصف صوته بالرقة أولى من وصفه بالدقة وكذلك يقال في صوت فرخه حين يكون قريب عهد بالتفقيس، فليُقس هذا بأصوات تلك الفراريج، واستعمال الدقة والرقة ههنا من التداخل الذي يكون بين هذين اللفظين، ومضى القول فيه (الفقرة ٣).

١٠ - سهو للعلامة الميمني في «خزانة الأدب»:

في «خزانة الأدب» (١/ ٢١٤)، من طبع المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ و بتحقيق العالمين الجليلين أحمد تيمور باشا وعبد العزيز الميمني ورد للنجاشي:

اذا الله جازى أهل لؤم بذمةٍ فجازىٰ بني العجلان رهط بن مقبلِ

وقال الأستاذ الميمني في «بذمة»: وحفظي على غير ما وضع: ورقة». قلتُ: قوله «ورقة» تحريف «ودقة». ومن معاني الدقة الحقارة أو الخساسة، وهذا المعنى يشاكل لفظ لؤم الذي مع دقة. وتقدم ذكر البيت على وجه الصحة منقولاً من البيان والتبيين (٤/ ٣٧) ومعه شواهد على اجتماع دقة ولؤم (الفقرة ٨).

١١ - سهو لمؤلف «جمهرة رسائل العرب»:

في «جمهرة رسائل العرب» (٤/ ١٦٠) المطبوع بمصر سنة ١٩٣٧، وهو تأليف الأستاذ أحمد زكي صفوة، جاء في كتاب بعث به أبو علي البصير الى أبي العيناء، وهو منقول من اختيار المنظوم والمنثور (١٣/ ٤١٧): «أما بعدُ، فإنك الرجل الدقيق حسبه، الرديء مذهبه، الدنيء مكسبه، الخسيس مطلبه». وقال المؤلفان في «الدقيق» حسبه: «وربما كان الرقيق». وذلك سهو منه، فالمراد بـ «الرقيق» في النص «الحقير» وهو يوافق العيوب التي اعقبته، وهي: الرديء، والدنيء، والخسيس. وتقدَّمَ قول للفرزدق يصف فيه بحسب بالرقة، وهو:

أتعدل أحساباً لئاماً أدقـة بأحسابنا؟ اني الى الله راجعُ

١٢ – تحريف في «العقد الفريد»:

أ – وفي العقد الفريد (٤/٤٨)، وهو بتحقيق الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الزين، والأستاذ ابراهيم الابياري، ورد قول الشاعر:

أبـقت رياستـه لأسرتـه لؤم الفـروع ورقـة الأصلِ

و «رقة» بالراء، ومعناها الضعف ليست بشيء. وأجدها محرّفة عن «دقة» بالدال، أي خساسة، يؤنس بذلك «لؤم» الفروع قبلها. وإجتماع اللؤم والدقة كثير في العربية، وتقدمت أمثلة له (الفقرة ٨–أ).

ب – وأيضاً في العقد (٤/١٩٥) أن محمد بن الليث كتب الى جعفر بن يحيى: «أما بعدُ، فليكن قلمك بحرّياً، لا سميناً ولا رقيقاً، ما بين الرقة والغلظ». و «رقيقاً» محرف عن «دقيقاً». والرقة محرّفة عن الدقة، فالقلم مما له طول واستدارة، فهو يوصف بالدقة الفقرة ١)، وفي النص استعمل السمين فالغِلَظ وهما نقيض الدقيق والدقة، وفي أدب الكتاب (ص٥٤) قال ابراهيم بن العباس الصولي لغلام كان يكتب بين يديه: «ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلظ».

ج – وأيضاً في العقد (٥/٣١٨) للنجاشي:

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط بن مقبلِ

ومضى هذا البيت مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه مع تعليق العلامة الميمني عليه (الفقرة ١٠)، وبيّنت أن الصواب «دقة» بالدال لا رقة بالراء، وقلت ان البيت ورد في البيان والتبيين (٤/٣٧) على وجه الصحة.

١٣ – تحريف في «جمع الجواهر في الملح والنوادر»:

وفي «جمع الجواهر في الملح والنوادر» للحصري القيرواني، وهو بتحقيق الأستاذ علي البجاوي (ومطبوع بمصر سنة ١٩٥٣)، قال العتبي (ص٦٦): «وكما يُمَلّ

الجدّ فيدخل في الهزل، كذلك يُمَلّ الرقيق فيحتاج الى الجزل»، والرقيق محرّفة عن الدقيق، والدقيق يقابل الجزل، والجزل معناه الجليل، وهي مقابلة نادرة أحوجت اليها السجعة.

١٤ – تحريف في «كليلة ودمنة»:

وفي كتاب كليلة ودمنة، وهو مصوّر ببيروت سنة ١٩٧٣ عن الطبعة التي حققها الأستاذ عبد الوهاب عزام، جاء في باب «ابلاد وايراخت وشادرم ملك الهند» (ص ٢٢٤) قول ابلاد للملك «أيها الملك إني مع رقة شأني، وضعف خطري، قد أغلظت في القول واجترأت». وأرى أن الوجه في «رقة» «دقة»، أي ضآلة شأني. وضد الدقّة او الضآلة الجلالة.

ومنه قول حفظته سنة ١٩٣٠ وأظنّ قائله عصرياً:

اللـــــه جل شأنـــــه له الصفـــات العاليـــة

فهذا شاهدي لجلالة الشأن، ومن بحث فغير بعيد أن يظفر بشاهد على دقة الشأن.

١٥ – تحريف في «رحلة ابن بطوطة»:

أ – وفي مجاني الأدب (١/١٦٩) المطبوع سنة ١٩١٣ قول منقول من رحلة إبن بطوطة جاء فيه «صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق، وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ... وتباع الرقاق...»، وليست الرحلة بين يدي. وعلى كل حال، الصواب «دقاق» في الموضعين، فالقضبان ذات طول واستدارة، والغلاظ يُقابلها الرقاق. ثم إنه ليس في سياق القول ما يدل أن الرقاق بمعنى الضعاف.

ب – وفي مجاني الأدب (ص ١٧٢ و ١٧٣)، عن رحلة ابن بطوطة، جاء في العود الهندي «شجره يشبه شجر البلوط الا أن قشرة دقيق، وأوراقه كأوراق البلوط». والصواب أن يُقال في القشر «رقيق» ولا وجه لوصفه بالدقة (انظر الفقرة ٢).

١٦ – تحريف في «طباع الحيوان» لأرسطو:

أ – وفي كتاب طباع الحيوان لأرسطو، وهو مصوّر ببيروت عن طبعة الكويت لسنة ١٩٧٧ بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، جاء في حجاب الصدر (ص ٤٨): «وهو لاحق بالأضلاع والجنبين والفقار. وفي أوسطه أجزاء دقيقة خلقتها من صفاق». وأرى أن «دقيقة» تحريف «رقيقة»، لأن سياق الكلام يقتضي أن توصف أجزاء الصفاق، وهو كالنسيج، بالرقة. ويجوز أن توصف أجزاء من النسيج أو ما يشبهه، كالصفاق المذكور في النص، بالدقة، كأن تكون نكتاً دقيقة أو نحو ذلك، وليس ذلك بالمراد في النص. ووُصف الصفاق على الصواب، أعني بالرقة، في موضع آخر من الكتاب (ص ١٠١). جاء فيه: «وفيما يلي ناحية الحجاب منها فخلقته من صفاق رقيق جداً».

ب – وفي الكتاب عينة (ص ١٤٠) جاء في الأسد «وفي بعض عظامه الرقيقة مخ يسير». والرقيقة تحريف الدقيقة. لأن العظام الرقيقة لا مخ فيها، فهي كالصحيفة، بلا جوف، كعظم الكتف وكالأضلاع. وانما يكون ذلك في بعض العظام التي توصف بالدقة التي هي بخلاف الغُلظ، وهي تشبه الأنابيب.

١٧ – تحريف في «محاضرات الأدباء»:

وفي كتاب «شعر دعبل بن علي الخزاعي» المطبوع بدمشق سنة ١٩٨٣ (ط ٢ ص ١٩٣) نقل المؤلف الدكتور عبد الكريم الأشتر في الحاشية عنواناً من كتاب «محاضرات الأدباء» (٢/ ١٨٣)، وهو «عظم المخلخل ورقة الخصر». وليس بين يديّ محاضرات الأدباء. والصواب على كل حال «ودقة الخصر» بالدال من «دقة». وتقدم قول مبسوط في دقة الخصر (الفقرة ٧).

١٨ – تحريف في الحاوي في الطب»:

وفي كتاب «الحاوي في الطب (٩/ ٧٨) المطبوع بحيدر آباد سنة ١٩٦٠: «الرقيقة الخصر، الضيقة الفرج، التي لا تلد»، والصواب «الدقيقة» الخصر.

١٩ – تحريف في «الإمتاع والانتفاع»:

وفي كتاب «الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع» لمحمد بن الدرّاج السبتي جاء في أوتار العود (ص ٣٥): «والعرب تسمى الرقيق من أوتاره الزير، والثاني المثنى...». وأرى أن الوجه «الدقيق»، لأن الوتر مما فيه طول واستدارة، ويجوز أن يُقال: الزير وتر دقيق وصوته رقيق، لأن أرقّ أوتار العود صوتاً الزير، ويغلظ الصوت شيئاً في المثنى، فشيئاً في المَثْلَث، فشيئاً في البم والبَمُّ رابع الاوتار وآخرها وأغلظها صوتاً. روى القالي في أماليه (١ / ٢٣٠): «سمع بعض العرب صوت العود فقيل له: ما تسمع؟ قال: حسناً، ولكن اقطع هذا الأبحّ فاني أشنؤه– يريدُ البم». وذلك لغلظ صوته، وفي القاموس في الزير «الدقيق من الأوتار وأحدّها»، ومحقق كتاب الإمتاع هو الدكتور محمد بن شقرون الأستاذ بجامعة محمد الخامس وليس في الكتاب ذكر لموضع الطبع ولا سنته. وفيه ما يدلّ على أنه طُبع بُعَيد سنة ١٩٨٠. وفي الكتاب غلط مطبعي كثير.

٢٠ – استعمال الدقيق والرقيق مجازاً:

كنت قد كتبت أيام الطلب مقالة استعملت فيها «دقة المعنى» في تقريظي لِشعر، واتفق أن اطّلع على المقالة قبل نشرها عالم لغوي جليل، فقال كالمنكر عليّ: كيف تستعمل دقة المعنى للتقريظ وهي لضده؟ فغيّرت اللفظة آخذاً بقوله، ثم وضح لي أنه كان واهماً، وأنه ربما كان قد قاس دقة المعنى على بعض الاستعمالات المجازيّة المراد بها الذم كدقة الخلق مع أن القياس في هذا الموضع قد يضل عن الصواب، وقد توفي ذلك العالم الجليل رحمه الله، ولم ينشر رأيه ذلك فيما نشر من تصحيح في اللغة، وأظنه بدا له فيه، فإذا علمنا أن «رقيق اللسان» للمدح لم يجز لنا أن نقيس عليه «رقيق الدين» فنعدّه للمدح، لأنه للذم واذا علمنا أن «دقيق الخلق» للذم لم يصحّ أن نقيس عليه «دقيق الذهن» فنعده للمدح، على أنّ استقراء نصوص الدقيق والرقيق، مع الرغبة في التفهّم، والميل الى الاستدلال، من شأنه أن يذلّل ما تعنّد، ويحلّل ما تعقّد، ولِوَهم ذلك العالم الجليل في «دقة المعنى» ووهم غيره ممن ذكرت في مقالتي هذه في الاستعمال المجازي للدقيق والرقيق، رأيت أن أنشر هاهنا جريدة بما اجتمع عندي من الاستعمالات المجازية لهاتين اللفظتين، ذاكراً ما كان منها للمدح أو الذم أو غيرهما، ومقيّداً إياها بشواهد صحيحة:

أ – الدقـة:

١ – دقة الأصل (للذم) : من قول الشاعر مصحّحاً (الفقرة ١٢–أ) :

أبـقت رياستـه لأسرتـه لؤم الفـروع ودقـة الأصلِ

٢ – دقة الانسان (للذم) : قال ثعلبة بن صُعَير (ديوان المفضليات ص ٢٥٤) :

مكارم يجعلن الفتى في أرومة يفاع وبعض الوالدين دقيقُ

٣ – دقة الحسب (للذم) : تقدم لها بيت للفرزدق، وقول لأبي علي البصير (الفقرة ١١).

٤ – دقة الخلق (للذم) : من خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (الأخبار الطوال ص ١٦١) : «أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، وماؤكم زُعاق».

٥ – دقة الذهن (للمدح) : تقدم له شاهد من تاريخ الطبري (٩/٢٨٩) وآخر من الإمتاع والمؤانسة (٣/١٤١) (الفقرة ٩–ب).

٦ – دقة الشأن (للذم) : مرّ شاهدها مصححاً في كليلة ودمنة (الفقرة ١٤).

٧ – دقة الفكر (للمدح) : تقدم لها شاهد من شرح أدب الكاتب ص٢٨ (الفقرة ٩–أ).

٨ – دقة الفهم (للمدح) : قال الجاحظ في رسالة القيان : «عذب اللفظ، دقيق الفهم، لطيف الحس، خفيف الروح» (رسائل الجاحظ ص ٧١).

٩ – دقة المحتد (للذم) : قال الفرزدق (البيان والتبيين ١/٥٠) :

سأرمي ولو جعلت في اللئام ورُدّت الى دقـة المحتـدِ

١٠– دقة المعنى (للمدح) : قال الزمخشري (نزهة الألباء ص ٣٩٠) : «كيف سمّيت هذا الكتاب مع نفاسته وغموض معانيه ودقتها بهذا الاسم». وانظر بيتاً للمتنبي في الوساطة (ص ٣٠٤)، وانظر طوق الحمامة (ص ٦).

١١– دقة النسب (للذم) : قال ابن الاعرابي (التهذيب ٦/٤٧٧) : «الهُنا: النسب الدقيق الخسيس».

١٢- دقة النظر (للمدح) : في «شرح أدب الكاتب» (ص٢٨) : «ويعني به المتفلسف والمنجمّ لدقة نظرهما، ولطف فهمهما».

١٣- دقة النفس (للذم) : في الألفاظ الكتابية (ص ٥٦) : «يُقال: فلان بخيل... ودقيق النفس، ودنيء النفس».

١٤- دقة النقد (للمدح) : في كتاب الصناعتين (ص ١٤٠) : «وإنكار جرير قوله: الثني من كسائها، نقد دقيق». وسياق الكلام كله يدل على المدح.

١٥- دقة الهمّة (للذم) : في «الصداقة والصديق» (ص٧) : «لأنهم من دقة الهمم، وخساسة النفوس، على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين».

ب - الرقـــة:

١ - رقة البصر (ضعفه) : في ديوان عنترة (ص ١٦٢) : «غزا عنترة طيئاً وقد رقّ بصره...»، وسياق الكلام كله يدل على المدح.

٢ - رقة الحال (سوؤها) : في اللسان (مادة: رق) : «وأرقّ فلان، رقّت حاله».

٣ - رقة الخلق (للمدح) : في معاهد التنصيص (١/٥) : «وخلائق رقّت وراقت، وطرائف علت وفاقت».

٤ - رقة الدين (للذم) : في «تبيين كذب المفتري ص ٣٩٦» : «... فقول حمله عليه رقة الدين وقلة الحياء».

٥ - رقة الشوق (للحب). ومعناهما متقاربان. وشذّ عني نصّاهما.

٦ - رقة الصباية واستعمالها معروف.

٧ - رقة العزيمة (للذم) : قال صفي الدين الحلي (الديوان : ص) :

لما سعينا فما رقّت عزائمنا عما نروم ولا خابت مساعينا

٨ - رقة العقل (للذم) : مضى شاهده منقولاً من التهذيب (٧/١٨٥) (الفقرة ٩-أ).

٩ - رقة الكلام (للمدح) أي لينه، في كليلة ودمنة «فلما فرغ الجرذ من الكلام أجابته السلحفاة بكلام لطيف رقيق».

١٠- رقة اللسان (للمدح) : مضى شاهدها منقولاً من البيان والتبيين (١/٣٣٤) (الفقرة ٣) .

١١- رقة اللفظ (للمدح) : في رسائل أبي حيان التوحيدي (ص١١٥) : «وكلامه السحر الحلال... بمعان دقيقة، وألفاظ رقيقة».

والمجاز من الدقيق والرقيق أكثر من هذا بكثير. وإنما ذكرت منه ما نجم لي اتفاقاً.

٢١ - خـتـام:

إن التحريف بين الدقيق والرقيق طريق نبت عليه عوسج. وان كنتُ قلعتُ شيئاً منه، فعسى أن ينهض غيري ليقلع منه المزيد. ففي ذلك فوائد قوامها التبصير بمواضع الكلم، والاعانة على تحقيق الكتب.. وهي فوائد يصيب منها من شاء، دون أن يجشّم مجشّماً، ولا أن يغرم مغرماً، وقد بلغ ما رجعت اليه من الكتب ٦٩ كتاباً - مع عدّ جزء الكتاب كتاباً- وأكثرها مستعار من مكتبة SOAS. والحمد لله على عونه وتوفيقه.